أنا صعوبةٌ إنسانية فهو يريد أن يغلبها ، وهو يجرّب قوى نفسه وطبيعته عليها ، أو كأنه يرى خيال امرأة فى مرآة ، لا امرأةً ماثلة له بهواها وشبابها وحسنها وفتنتها ، أو أنا عنـــده كالحورية من حور الجنة فى خيالٍ من هى نوائه ، تكون معه ، وإن بينها وبينه من البعد ما بين الدنيا والآخرة ، فأجمعت أن أحطم المرآة ليرانى أنا نفسى لا خيالى ، واستنجدت كلّ فتنتى أن تجعله يفرُّ الىّ كلما حاول أن يفرّ منى

فلما ظننتُنى ملأتُ عينيه وأذنيه ونفسه ، وانصببت اليه من كل جوارحه ، وهجتُ التيار الذى فى دمه ودفعتُه دفعاً — قلت له : أنت يا خليلى شىء لا يُعرَف ، أنت شىء مُتلَفِّفٌ بانسان ، ومن التى تعشق ثوباً ليس فيه لابسه ؟

ورأيته والله يطوف عنـــد ذلك بفكره ، كما أطوف أنا بفكرى حول المعنى الذى أردتُه . فملتُ اليه وقلت[1] : أنا والله أحبك ! »

فقال : « وأنا والله الذى لا إلـه إلا هو »

قلت : وأشتهى أن أعانقك وأقبلك ! »

قال : « وأنا والله ! »

قلت : « فما يَمْنَعُك ؟ فوالله إن الموضع لَخالٍ ! »

قال : يعنى قولُ الله عزّ وجلّ : « الأخِلاّء يومئذٍ بعضُهم لبعضٍ عدوٌّ إلا المتقين » . فأكرهُ أن تحُولَ مودّتى لكِ عداوة يوم القيامة »

إنى أرى « برهان ربى » ياحبيبتى ، وهو يمنعنى أن أكون من سيئاتك وأن تكونى من سيئاتى ، ولو أحببت الأنثى لوجدتُكِ فى كل أنثى ، ولكنى أحب ما فيكِ أنتِ بخاصتك ، وهو الذى لا أعرفه ولا أنتِ تعرفينه ، هو معناكِ بإسلامة لا شخصك

ثم قام وهو يبكى ، فما عاد بعد ذلك يا أمير المؤمنين ، ما عاد بعد ذلك ، وتركَ لى ندامتى وكلامَ دموعه ! وليتنى لم أفعل ، فقد رأى أن المرأة تكشف وجهها للرجل أحياناً ، وكأنها لم تُلْقِ حجابها بل ألقتْ ثيابها ... ... ؟

طنطا

(١) هذا نص كلامهما كما رواه صاحب الأغانى ، وهو كل القصة فى كتابه

الصراع بين الحبشة والاستعمار الغربى

وهل يبرر الاستعمار غزوها ؟

للأستاذ محمد عبد الله عنان

وقعت أخيراً عدة حوادث ومصادمات خطيرة على حدود الحبشة بين الايطاليين والأحباش ؛ وكان المظنون أن الكدر الذى أصاب العلائق الحبشية الايطالية من جراء حادث الاعتداء على القنصلية الايطالية فى جوندار قد زال بعد اعتذار الحكومة الحبشية وقيامها بالترضية المطلوبة . ولكن حادثاً أشد خطورة وقع منذ أيام قلائل على الحدود الحبشية مما يلى الصومال الايطالى ؛ فقد نشبت معركة دموية شديدة بين قوة من الأحباش وقوة من الايطاليين عند مركز اولوال الذى يدعيه كل منهما ، قتل وجرح فيها من الفريقين عدد كبير يقدر بالمئات ؛ وقد وقف القتال على أثر ذلك ، وانسحب الأحباش الى داخل الحدود ، ورفعت الحكومة الحبشية الأمر الى عصبة الأمم ؛ ولكن الجو ما زال كدراً مثقلاً بمختلف الاحتمالات

ومما يلفت النظر بنوع خاص أن يقع هذا التوتر وهذه الحوادث الخطيرة بين الدولتين عقب الزيارة الملكية التى قام بها ملك ايطاليا فى الاريتريا والصومال ، والمظاهرات العسكرية التى نظمتها السلطات الايطالية بهذه المناسبة . ولا ريب أن طواف ملك ايطاليا بالأملاك الايطالية فى افريقية الشرقية لم يكن بقصد النزهة والترويض ، ولكنها زيارة سياسية ظاهرة المغزى ، وطليعة خطة جديدة تزمع ايطاليا الفاشستية انتهاجها فى سياستها الاستعمارية . ومن المعروف أن ايطاليا الفاشستية تعنى عناية شديدة بالتوسع الاستعمارى ، وأنها خطت فى ذلك السبيل خطوات واسعة فى طرابلس ، حيث استطاعت أن تتوغل فى داخلها بعد أن لبثت منذ غزوها تقتصر على احتلال البلاد الساحلية وما يليها الى مسافة قصيرة ، واستطاعت بواسطة انكلترا أن تنتزع واحة جغبوب المصرية وما يليها بمقتضى المعاهدة

المعروفة ، وأن تصحح بذلك حدودها على حساب الأراضي المصرية ؛ بل لقد استطاعت أخيراً أن تنتزع بواسطة انكلترا أيضاً جزءاً من واحة العوينات السودانية وأن تضمها الى برقة الجنوبية ، ونزلت لها انكلترا عن تلك المنطقة باسمها وباسم مصر ، ومصر لا تعلم بشيء من ذلك ولم يطلب رأيها فيه . وتبدى ايطاليا الفاشستية نشاطا واضحاً في تنظيم مستعمراتها الافريقية وتقوية نفوذها الاستعماري ، وتجعل التوسع الاستعماري أساساً لسياستها الأوربية ، فتشترط لتفاهمها مع فرنسا أن تحصل على حقوق ومزايا استعمارية في جنوب تونس ، وفي منطقة تشاد ، وتدعو الى تعديل معاهدة الصلح (معاهـــدة فرساي) ، وتحاول أن تثير مسألة الانتدابات الاستعمارية التي استأثرت بها فرنسا وانكلترا وحرمت هي منها فلم تظفر بشيء من أسلاب ألمانيا أو الدولة العثمانيـة ؛ هذا الى اهتمامها بتقوية نفوذها في كثير من الأمم الشرقية ، ومضاعفة جهودها في نشر تجارتها ونفوذها الاقتصادي

ومن الطبيعي أن تخص ايطاليا المنطقة الحبشية بمعظم جهودها واهتمامها ، فهي تملك في تلك المنطقة مستعمرتين كبيرتين هما بلاد الاريترية التي تحد الحبشة من الشمال الشرقي وتحجب عنها ساحل البحر الأحمر ، وبلاد الصومال الايطالي ، وهي تحد الحبشة من الجنوب الشرقي ، وتحجب عنها ساحل المحيط الهندي . بيد أن هذا الاهتمام ليس حادثاً ولا طارئاً ؛ فقد بدأت ايطاليا عصرها الاستعماري في تلك المنطقة ، وامتلكت بها أول مستعمرة ايطالية . وكان ذلك سنة ١٨٨٥ ، وقت أن كانت الدول الكبرى تنظم اقتسام افريقية الى أملاك ومستعمرات ، فاستطاعت ايطاليا أن تضع يدها على ثغر مصوع وأن تحتل بلاد الاريترية ؛ وكانت السياسة الايطالية تتطلع يومئذ الى التوسع في تلك المنطقة ، والى إنشاء امبراطورية استعمارية ايطالية في شرق افريقية ؛ ولم يكن يحقق ذلك الحلم سوى الاستيلاء على بلاد الحبشة ؛ فاتخذت من الاريترية قاعدة لتحقيق هذه السياسة ، وكانت الحبشة تجوز يومئذ ظروفاً سيئة من تعاقب الثورات والخلافات الداخلية ، وكان الغزو الأوربي قد استطاع أن ينفذ اليها قبل ذلك بأعوام قلائل ؛ ففي سنة ١٨٦٨ ، نفذت حملة انكليزية بقيادة السير نابيير الى بلاد الحبشة لتعمل على إنقاذ بعض المبعوثين والرعايا الانكليز الذين اعتقلتهم حكومة الحبشة وأبت إطلاق سراحهم ، وكان المتغلب على الحبشة يومئذ زعيم يدعى كاسـاى ، الذي تلقب باسم الملك « النجاشي » تيودور ، فهزم واضطر الى التسليم ، وانتحر على أثر ذلك ، وانسحب الانكليز بعد أن أملوا شروطهم وحققوا غايتهم . وقام على عرش الحبشة النجاشي يوحنا الثاني ، وفي عهده تقربت ايطاليا من الحبشة وعقدت معها صلات ودية وثيقة سرعان ما تحولت الى نوع من الوصاية . واستمرت ايطاليا تعمل على تقوية نفوذها وسلطانها في الحبشة حتى توفي يوحنا الثاني سنة ١٨٨٩ وخلفه منليك أمير شروا ؛ وكان النير الايطالي قد اشتدت وطأته يومئذ ، وضعفت الحبشة واضطربت شئونها الى حد استطاعت معه أن تفرض ايطاليا عليها معاهدة تقضي بوضعها تحت الحماية الايطالية ، وهي المعروفة بمعاهدة « اوشالي » (سنة ١٨٨٩) وعنـــدئذ تغلغل النفوذ الايطالي في الحبشة ، وسيطرت ايطاليا على شئونها ومصايرها ، وأخذت تطمح الى امتلاكها وضمها . ولـكن شاء القدر أن يكون منليك ، ذلك الأمير الذي ضاعت في عهده الحريات الحبشية هو نفس الأمير الذي يقوم بتحريرها من النير الأجنبي . ففي سنة ١٨٩٥ ، اضطرمت الحبشة بثورة عظيمة ضد النفوذ الأجنبي بزعامة منليك ، ونشبت الحرب بين الايطاليين والأحباش ، وهزم الايطاليون هزيمة ساحقة في « عدوه » من أعمال ولاية تجرى في قاصية شمال الحبشة ، وذلك في أول مارس سنة ١٨٩٦ ، وأرغمت ايطاليا على أن تعقد مع الحبشة معـاهدة جديدة تعترف فيها باستقلالها (معاهدة اديس ابابا) ، وبذلك اسـتردت الحبشة حريتها التي لم يطل أمد ضياعها ، وانهارت آمال الاستعمار الايطالي ؛ واستمر منليك الثاني ، أو منليك الأكبر محرر الحبشة يسهر على مصايرها بقوة وعزم ، ويسير بها في سبيل المدنية والاصلاح والتقدم حتى توفي سنة ١٩١٣ . وفي عهده نظمت الحبشة علائقها مع الدول الأوربية ، وعقدت معاهدة صداقة مع بريطانيا العظمى ، واستطاعت أن ترغم الدول الاستعمارية على احترامها وعلى الحد من أطماعها

وفي سنة ١٩٠٦ عقد بين ايطاليا وبريطانيا وفرنسا تحالف ثلاثي يقضي بالعمل المشترك لحماية أراضيها ومصالحها في تلك

المنطقة ، وهو تحالف تجدد فى سنة ١٩٢٥ . ولما توفى منليك الثانى فى سنة ١٩١٣ ، خلفه حفيده ابن ابنته « ليجى ياسو » ، وقد كان أبوه الراس مخائيل مسلماً فتنصر تحقيقاً لأطماعه وتزوج من ابنة منليك . ثم نشبت الحرب الكبرى ، واضطرمت الدسائس حول ليجى ياسو ؛ واتهم بمعالأة المسلمين الذين ينتمى إليهم بأصله ودمه ، ثم اتهم بالارتداد عن النصرانية ؛ ولكن الواقع أن ليجى ياسو كان يرى أن مصلحة الحبشة أثناء الحرب تقضى باتجاهها نحو التحالف الجرمانى التركى وابتعادها عن دول الحلفاء ؛ فخشى الحلفاء ولا سيما انكلترا عاقبة هـــذا الاتجاه ، وأخذت تعمل لاثارة الشعب الحبشى ضد أميره ، وألفت فى بطريرك الحبشة القبطى خير أداة لحياكة هذه الدسائس ، فاستعمل الدين وسيلة لاضرام الثورة وألقى الزعماء المستقلون فرصتهم ، وهزم ليجى ياسو بعد وقائع وخطوب جمة ؛ وأعلنت « زوديتو » ابنة منليك الكبرى امبراطورة للحبشة ، (سنة ١٩١٦) وعين الراس تافرى ماكونن وصياً للعرش وولياً للعهد ؛ وكان هو الملك وهو الحاكم ، ولم يكن للامبراطورة من السلطة الحقيقية شىء ؛ وبعد بضعة أعوام أعلن الراس تافرى نفسه امبراطوراً الى جانب الامبراطورة زوديتو ؛ ولما توفيت الامبراطورة سنة ١٩٣٠ ، استقل الراس تفرى بعرش الحبشة باسم الامبراطور « هيلى سلاسى » ؛ وكان أعظم حادث سياسى فى عهده انضمام الحبشة الى عصبة الأمم . وفى عهده قطعت الحبشة مراحل عظيمة فى سبيل التقدم والتجديد ، وبذلت جهوداً كبيرة لتنظيم قواتها الدفاعية وتزويدها بوسائل التسليح الحديثة ؛ ونظمت الحبشة علائقها السياسية والتجارية مع معظم الدول الأوربية ، واستطاعت أن ترد عادية النفوذ الأجنبى عن استقلالها وحرياتها

ولكن السياسة الاستعمارية تعود اليوم فتتربص بالحبشة ؛ وتعود ايطاليا فتتجه ببصرها وأطماعها إلى تلك المنطقة ؛ وظاهر أن نشاط ايطاليا فى الاريتيرية والصومال ، وما تبدى هنالك من الاستعدادات الحربية ، وأن زيارة ملك ايطاليا لهاتين المستعمرتين ، وأن تحرش ايطاليا بالحبشة ومحاولتها أن تدفع حدود الصومال الى داخل الأراضى الحبشية مما أدى الى حادث أولوال الدموى ؛ ظاهر من ذلك كله أن ايطاليا مقبلة على تنفيذ خطة استعمارية جديدة فى تلك المنطقة . ومما تجدر ملاحظته أولاً أن لفرنسا وانكلترا مصالح هامة فى تلك المنطقة ، فانكلترا تحتل الصومال الانكليزى ، وتحتل فرنسا الصومال الفرنسى وثغره جيبوتى الذى هو مخرج التجارة الحبشية من جهة البحر الأحمر ، والذى يتصل بعاصمتها أديس أبابا بالسكة الحديدية . ولكن فرنسا وانكلترا تلتزمان الصمت والجمود إزاء النشاط الايطالى نحو الحبشة ، ويبدو تحفظ انكلترا وحيادها بنوع خاص فى أمرها لتندوبها فى الصومال وهو الذى شهد معركة الحدود بين الأحباش والايطاليين فى أولوال الا يتدخل فى النزاع مطلقاً ، وأن ينسحب الى الداخل . ومن المعروف أن التحالف الذى عقد بين ايطاليا وفرنسا وانكلترا فى سنة ١٩٠٦ ، وجدد فى سنة ١٩٢٥ ، ينص على اعتراف الدولتين بتفوق المصالح الأيطالية فى الحبشة . ولكن ذلك لم يكن ليكفى لحيدة انكلترا فى معركة بين الاستعمار الايطالى والحبشة ، لو لم يتدخل فى الموقف عامل خطير آخر ، هو ظهور اليابان على المسرح . فاليابان تبذل منذ أعوام جهوداً جبارة لغزو الأسواق العالمية فى الشرق والغرب ، وقد استطاعت أن تنافس التجارة البريطانية فى معظم الأسواق منافسة خطيرة ، وأن تخلق لبريطانيا مشكلة اقتصادية عظيمة تهددها اليوم فى تجارتها الامبراطورية بأخطر العواقب ؛ وظهرت اليابان فى شرق افريقية كما ظهرت فى غيره ، واستطاعت أن تغزو سوق الحبشة بسرعة ، وأن تكسب عطفها وثقتها ، حتى قيل بأن الامبراطور ينوى أن يعهد فى تدريب جيشه الى خبراء عسكريين يابانيين . ولما كانت بريطانيا العظمى تعمل لأحباط هذا الغزو الياباني الخطر بكل ما وسعت ، فقد رأت أن تطلق يد ايطاليا فى المنطقة الحبشية لكى تعمل على مقاومة النفوذ الياباني ، ورأت ايطاليا من جانبها أن تعمل لتحقيق مشاريعها الاستعمارية . وأما سكون فرنسا فيحمل على أنها ترى إرضاء التوسع الايطالى فى تلك المنطقة ، مما يصرف نظر السياسة الايطالية عن محاولة التوسع فى منطقة بحيرة تشاد فى السودان الغربى ، ومما يهدئ ثورتها وأطماعها نوعاً ؛ هذا ومن جهة أخرى ، فان ايطاليا تتطلع بنوع خاص الى منطقة بحيرة تسانا الحبشية والى الانتفاع بمواردها ، وبحيرة تسانا التى تغذى النيل الأزرق ، وتعتبر من أهم منابع نهر النيل ، تقع فى شمال الحبشة على مقربة من الأريترية المستعمرة